بسم الله الرحمن الرحيم

حكم الذين يترصدون على المجاهدين ويبلغون الحكومات الكافرة عنهم ويطلبون من الحكومات القبض عليهم وقتالهم

بقلم الشيخ؛ عبد الحكيم حسان أبي عمرو

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد...

فهذا سؤال قد ورد إليَّ من بعض المجاهدين، ونصه:

(ما حكم الذين يترصدون على المجاهدين ويبلغون الحكومات الكافرة بالمعلومات عنهم ويطلبون من الحكومات القبض عليهم وقتالهم، بحجة أنهم مفسدون؟).

*   *   *

فأجبت - بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم - قائلا:

اعلم؛ أنه يحرم على المسلم موالاة أهل الكفر والشرك والردة ونصرهم على المسلمين أينما كانوا، ولا يجوز لمسلم أبداً أن يترصد على المجاهدين وينقل أخبارهم إلى أعدائهم الكفار أو المشركين، ولا يجوز كذلك المعاونة على قتل مسلم، ولو بشطر كلمة فضلا عما فوق ذلك من عمل.

واعلم أن لفظ الولاية مشتق من الولاء، وهو الدنو والقرب، والولاية ضد العداوة، والمؤمنون أولياء الرحمن

والكـافرون أوليـاء الطـاغوت والشـيطان، وكل من كـان ناصرا لأحد؛ فهو موال له.

وموالاة الكفار؛ تعني التقرب إليهم وإظهـار الـود لهم بـالأقوال والأفعـال ونصـرتهم على أهل الإسـلام والـذب عنهم بلسان الرضـى، ومن أعلى ما يـدخل في مـوالاتهم؛ معـاونتهم والتـآمر والتخطيط معهم وتنفيذ مخططـاتهم والـدخول في تنظيمـاتهم وأحلافهم والتجسس من أجلهم ونقل عورات المسـلمين وأسـرار الأمة إليهم والقتـال في صفهم.

وقد أوجب الله المـوالاة بين المؤمـنين وبين أن ذلك من أصـول الإيمـان ولوازمـه، ونهى عن مـوالاة الكفـار والمشركين وبين أن ذلك منتـفٍ في حق المؤمـنين، وبين تعالى أن موالاة الكفـار ونصـرتهم على المسـلمين منافية لحقيقة الإيمان.

- فأما موالاة المؤمنين؛

فكقوله تعـالى: {إنما وليكم الله ورسـوله والـذين آمنـوا...}، إلى قوله تعـالى: {ومن يتـول الله ورسـوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغـالبون}، وقـال تعـالى: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسـهم في سـبيل الله والـذين آووا ونصـروا أولئك بعضـهم أوليـاء بعض...}، إلى قوله تعـالى: {والـذين آمنـوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم}.

ولـذلك يقـول ابن تيمية رحمه اللـه: (إن أصل الـدين وكماله؛ أن يكـون الحب في الله والبغض في الله والمـوالاة في الله والمعـاداة في الله والعبـادة لله والاستعانة بالله والخـوف من الله والرجـاء لله والإعطـاء لله والمنع لله)[1] اهـ.

- وفي وجوب معاداة الكافرين؛

قال تعـالى: {لا يتخذ المؤمنـون الكـافرين أوليـاء من دون المؤمـنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شـيء إلا أن تتقـوا منهم تقـاة ويحـذركم الله نفسه وإلى الله المصير}.

وقد قـال شـيخ المفسـرين ابن جرير الطـبري رحمه الله: (ومعنى ذلك؛ لا تتخـذوا أيها المؤمـنين الكفـار ظهـرا

[1] راجع الدرر السنية: 7/109.

وأنصـــــارا، توالـــــونهم على دينهم وتظـــــاهرونهم على المسـلمين من دون المؤمـنين، وتـدلونهم على عـوراتهم، فإنه من يفعل ذلك؛ {فليس من الله في شــيء}، يعــني بذلك فقد بـرئ من الله وبـرئ الله منه بارتـداده عن دينه ودخوله في الكفر)[2] اهـ.

ويقـول الشـيخ صـالح الفـوزان: (من مظـاهر مـوالاة الكفــار إعــانتهم ومناصــرتهم على المســلمين ومــدحهم والذب عنهم، وهذا من نـواقض الإسـلام وأسـباب الـردة - نعوذ بالله من ذلك -)[3] اهـ.

وقـال تعـالى: {يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا عـدوي وعدوكم أوليـاء تلقـون إليهم بـالمودة}، إلى قوله تعـالى: {قد كانت لكم أسـوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معه إذ قـالوا لقـومهم إنا بـرءاؤ منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـدا حـتى تؤمنوا بالله وحده}، فلا تتم مـوالاة المؤمـنين ولا تصح إلا بمعاداة الكافرين وبغضهم.

وقد قال ابن القيم رحمه الله في بيـان هـذا المعـنى: (لا تصح المـولاة إلا بالمعـاداة، كما قـال تعـالى عن إمـام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: {أفرأيتم ما كنتم تعبـدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فـإنهم عـدو لي إلا رب العـالمين}، فلم تصح لخليل الله هذه المـوالاة والخلة إلا بتحقيق هـذه المعـــاداة فإنه لا ولاء إلا لله ولا ولاء إلا بـــالبراءة من كل معبود سواه، قـال تعـالى: {وإذ قـال إبـراهيم لأبيه وقومه إنــني بــراء مما تعبـدون إلا الـذي فطـرني فإنه سـيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعــــون}، أي جعل هـذه المــوالاة لله والـبراءة لله والـبراءة من كل معبــود ســـواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبيــــاء واتبــــاعهم بعضـــهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله، وهي الـــتي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة)[4] اهـ.

يقــول الشـــيخ حمد بن عــتيق رحمه الله تعــالى في رسـالته "سـبيل النجـاة والفكـاك" عند قوله تعـالى: {إنا بـــرءاؤا منكم ومما تعبـــدون من دون الله}: (وهاهنا نكتة بديعة، وهي أن الله تعـالى قـدّم الـبراءة من المشـركين العابدين غير الله، على الـبراءة من الأوثـان المعبـودة من دون الله، لأن الأول أهم من الثـــاني، فإنه إن تـــبرأ من

[2] تفسير الطـبري: 6/313، راجع تفسـير القرطـبي: 4/57، راجع تفسير ابن كثير: 1/358، راجع تفسير أبي السعود: 2/23.
[3] الولاء والبراء في الإسلام للشيخ صالح الفوزان: 9.
[4] الجواب الكافي: 213.

الأوثان ولم يتبرأ ممن عبدها لا يكـون آتيـاً بـالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين؛ فإن هذا يستلزم الـبراءة من معبوداتهم، وكـذا قولـه: {وأعـتزلكم وما تـدعون من دون الله... الآية}، فقدّم اعتزالهم على اعـتزال ما يـدعون من دون الله، وكذا قوله: {فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله}، وقوله: {وإذ اعـــتزلتموهم وما يعبـــدون من دون الله}، فعليك بهـذه النكتة فإنها تفتح لك بابـاً إلى عـداوة أعـداء اللـه، فكم من إنسـان لا يقع منه الشـرك ولكنه لا يعـادي أهله فلا يكـون مسـلماً بـذلك إذ تـرك دين جميع المرسلين) اهـ.

ويقـــول أيضا رحمه الله تعـــالى في نفس الرســـالة: (فقوله: {وبدا}؛ أي ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضـــاء، لأن الأولى أهم من الثانيـــة، فـــإن الإنســـان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيـاً بـالواجب عليه حـتى تحصل منه العـداوة والبغضـاء، ولا بد أيضـاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بيِّنتين، واعلم أنه وإن كـانت البغضـاء متعلقة بـالقلب، فإنها لا تنفعه حـتى تظهر آثارها وتتبين علاماتها، ولا تكون كـذلك حـتى تقـترن بالعـداوة والمقاطعـة، فحينئذ تكـون العـداوة والبغضـاء ظاهرتين) اهـ.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله حـول آية الممتحنة السـابقة: (فمن تـدبر هـذه الآيـات عـرف التوحيد الـذي بعث الله به رسـله وأنـزل به كتبه وعـرف حـال المخـالفين لما عليه الرسل وأتبـاعهم من الجهلة المغـرورين الأخسـرين، قـال شيخنا الإمام رحمه الله - يعني بـذلك جـده محمد بن عبد الوهـاب - في سـياق دعـوة النـبي صـلى الله عليه وسـلم قريشاً إلى التوحيد وما جـرى منهم عند ذكر آلهتهم بـأنهم لا ينفعون ولا يضرون؛ أنهم جعلوا ذلك شتماً: فإذا عـرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يسـتقيم له إسـلام ولو وحد الله وتـــرك الشـــرك إلا بعـــداوة المشـــركين والتصـــريح لهم بالعداوة والبغضاء كما قال تعـالى: {لا تجد قومـاً يؤمنـون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله... الآيـــة}، فإذا فهمت هذا فهماً جيـداً عـرفت أن كثـيراً ممن يـدعي الدين لا يعرفه، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العـــذاب والأسر والهجـــرة إلى الحبشة مع أنه أرحم النـــــاس ولو وجد لهم رخصة أرخص لهم، كيف وقد أنـزل الله عليـه: {ومن النـاس من يقـول آمنا بالله فـإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعـذاب الله}، فـإذا كـانت هذه الآية فيمن وافق بلسـانه فكيف بغـير ذلك، يعـني من وافقهم بـالقول والفعل بلا أذى فظـاهرهم وأعـانهم وذب

عنهم وعن من وافقهم وأنكر على من خـــالفهم، كما هو الواقع)[5] اهـ.

وقـال تعـالى: {لا تتولـوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفـار من أصـحاب القبـور}، وذلك؛ أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخـبرون اليهـود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصـيبون بـذلك من ثمـارهم ودنيـاهم فنهـاهم الله عن مـوالاتهم ومواصـلتهم ونصـرهم على أهل دينهم من المسلمين.

وقـال تعـالى: {يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا آبـاءكم وإخـوانكم أوليـاء إن اسـتحبوا الكفر على الإيمـان ومن يتـولهم منكم فأولئك هم الظـالمون}، وفي هـذه الآية الكريمة نهي من الله تعالى للمؤمـنين عن مـوالاة الكفـار ونصرتهم والاستنصار بهم وتفويض أمورهم إليهم، وأوجب التبري منهم وترك تعظيمهم وإكرامهم.

إلا أنه تبـارك وتعـالى قد أمر مع ذلك بالإحسـان إلى الأب الكـافر وصـحبته بـالمعروف بقوله تعـالى: {ووصـينا الإنسان بوالديه إلى قوله وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصـاحبهما في الـدنيا معروفا}، وإنما أمر المؤمـنين بعـدم مـوالاة الكـافرين ليتميزوا عن المنافقين، إذ كان المنـافقون يتولـون الكفـار ويظهـرون إكـرامهم وتعظيمهم إذا لقـوهم ويظهـرون لهم الولاية، فجعل الله تعالى ما أمر به المؤمن في هـذه الآية علما وفرقانا يتميز به المؤمن من المنافق، وأخبر؛ أن من لم يفعل ذلك فهو الظـالم لنفسه المسـتحق للعقوبة من ربه[6].

وقـال تعـالى: {يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض ومن يتـولهم منكم فإنه منهم}، وهـذا نص قـرآني محكم؛ بين الله تعـالى فيه أن من والى الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم ونصرهم على المؤمـنين فهو كـافر مثلهم ومصـيره مصـيرهم في الـدنيا والآخـرة، وفي هـذه الآية دلالة؛ على أن الكـافر لا يكون وليا للمسلم لا في التصرف ولا في النصـرة، وتـدل أيضا؛ على وجـوب الـبراءة من الكفـار والعـداوة لهم، لأن الولاية ضد العداوة، فـإذا أمرنا بمعـاداة اليهـود والنصـارى لكفـرهم فغـيرهم من الكفـار بمـنزلتهم، وتـدل الآية أيضا

[5] الدررالسنية، جزء الجهاد: 93.
[6] راجع أحكام القرآن للجصاص: 4/278.

على أن الكفر كله ملة واحــدة، لقوله تعــالى: {بعضــهم أولياء بعض}[7].

قال الطبري رحمه الله: (فالصواب؛ أن يُحكم لظـاهر التنزيل بـــالعموم على ما عَمَّ...)، إلى قوله رحمه اللـــه: (غــير أنه لا شك أن الآية نــزلت في منـافق كـان يــوالي اليهود أو النصـارى خوفا على نفسه من دوائر الـدهر، لأن الآية الــتي بعد هــذه تــدل على ذلــك، وذلك قوله تعـالى: {فترى الذين في قلوبهم مـرض يسـارعون فيهم يقولـون نخشى أن تصـيبنا دائـرة}، والصـواب من القـول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله تعـالى ذكـره نهى المؤمـنين جميعا أن يتخــذوا اليهــود والنصــارى أنصــارا وحلفــاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورســـوله والمؤمـــنين فإنه منهم في التحـــزب على الله وعلى رســـوله والمؤمـــنين وأن الله ورسوله منه بريئان...).

إلى أن قال: (يعني تعالى ذكره بقوله: {ومن يتــولهم منكم فإنه منهم}، أي ومن يتــول اليهــود والنصــارى من دون المؤمنين فإنه منهم، يقول فإن من تـولاهم ونصـرهم على المؤمــنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتــول متول أحدا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عــادى ما خالفه وســخطه وصــار حكمه حكمه)[8] اهـ.

قلت: وقد ظن بعض النــــــاس وفهم خطئا من كلام الطـبري رحمه الله هـذا؛ أنه لابد أن يقـوم بـالقلب رضى بدين الكفار حتى يدخل في هذا الحكم ويكون كـافرا، وأن من نصر الكافر على المسلم وقاتل المسلم معه؛ لا يكفر إلا إذا كـان راضـيا بقلبه عن دينــه، وليس ذلك صـوابا، بل الصــــحيح - والله تعـــالى أعلم - أن من والى الكفـــار وظـاهَرهُم على المؤمـنين دخل في هـذا الحكم ودل ذلك على رضـاه القلـبي بـدينهم وملتهم، وإن زعم بلسـانه أنه مخالف لهم، وذلك لأن لسان الحال مثل لسان المقـال أو أعظم، كما قـال تعـالى: {ما كـان للمشـركين أن يعمـروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر}، وقال تعـالى: {وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين}، ومن المعلوم أن هــذه الشــهادة كـانت بلســان الحـال وليست بلسـان المقال.

---

[7] راجع أحكام القرآن للجصاص: 4/99.
[8] تفسير الطبري: 6/276 - 277.

ولذلك قال جمال الدين القاسمي رحمه الله: (قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}، أي من جملتهم وحكمه حكمهم، وإن زعم أنه مخالف لهم في الدين، فهو بدلالة الحال منهم لدلالتها على كمال الموافقة)[9] اهـ.

وقال ابن حزم: (صح أن قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}، إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين)[10] اهـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (قال تعالى: {ومن يتولهم منكم}، فيوافقهم ويعينهم، {فإنه منهم}).

وقال أيضا في تفسير هذه الآية: (والمفسرون متفقون؛ على أنها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض خاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، للخوف الذي في قلوبهم، لا لاعتقادهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب وأن اليهود والنصارى صادقون)[11] اهـ.

وقال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم}، أي يعضدهم على المسلمين، {فإنه منهم}؛ بيَّن تعالى أن حكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة...)، إلى قوله رحمه الله: ({ومن يتولهم منكم فإنه منهم}؛ شرط وجوابه، أي لأنه قد خالف الله تعالى ورسوله كما خالفوا، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، ووجبت له النار كما وجبت لهم، فصار منهم أي من أصحابهم)[12] اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: (نهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان، فهو منهم...)، إلى قوله رحمه الله: (ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوف الدوائر، وهكذا حال هؤلاء المرتدين)[13] اهـ.

---

[9] محاسن التأويل للقاسمي: 6/240.
[10] المحلى لابن حزم: 11/138.
[11] مجموع الفتاوى: 7/193 - 194.
[12] تفسير القرطبي: 6/217.
[13] الرسالة الحادية عشرة من مجموعة التوحيد: 338.

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}.

وقال القرطبي: (ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين...)، إلى أن قال رحمه الله: ({ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}، قال ابن عباس: هو مشرك مثلهم، لأن من رضي بالشرك فهو مشرك)[14] اهـ.

قال ابن حزم رحمه الله في كلامه عن وجوب الهجرة من دار الكفر: (من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين؛ فهو بهذا الفعل مرتد، له أحكام المرتدين من وجوب القتل عليه متى قدر عليه ومن إباحة ماله وانفساخ نكاحه...)، إلى أن قال: (وكذلك من سكن بأرض الهند والسند والترك والسودان والروم من المسلمين، فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق؛ فهو معذور، فإن كان هنالك محاربا للمسلمين معينا للكفار بخدمة أو كتابة؛ فهو كافر)[15] اهـ.

وقال أيضا رحمه الله: (ولو أن كافرا غلب على دار من دور الإسلام وأقر المسلمين بها على حالهم، إلا أنه هو المالك لها المنفرد بنفسه في ضبطها، وهو معلن بدين غير الإسلام؛ لكفر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه، وإن ادعى أنه مسلم)[16] اهـ.

وقال ابن حجر رحمه الله في نفس هذا المعنى، في شرح حديث ابن عمر مرفوعا: (إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)[17]: (ويُستفاد من هذا؛ مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة، لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي؛ فهم منهم)[18] اهـ.

---

[14] تفسير القرطبي: 8/93 ـ 94، تفسير ابن كثير: 2/343، تفسير أبي السعود: 4/54، فتح القدير للشوكاني: 2/346.
[15] المحلى لابن حزم، 11/200.
[16] السابق.
[17] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابا، والحديث في الصحيح برقم 7108.
[18] فتح الباري: 13/61.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}: (قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عن ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير...)، إلى قوله: (إن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سكت عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل الله في حكمه وحكمته؛ الراضي بمنزلة الفاعل، فانتظم في العقوبة)[19] اهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ضمن نواقض الإسلام التي يكفر بها المسلم: (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، لقوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم})[20] اهـ.

وقال الشيخ حمد بن عتيق النجدي رحمه الله: (قد تقدم أن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عوارت المسلمين أو الذب عنهم بلسان أو رضى بما هم عليه، كل هذه مكفرات ممن صدرت منه من غير الإكراه المذكور، ومن فعل ذلك؛ فهو مرتد، وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين، وقد تقدم ذلك في غير موضع، وإنما كررنا لعموم الجهل به وشدة الحاجة إلى معرفته)[21] اهـ.

وقال الشيخ حمد بن عتيق أيضا: (أن يوافقهم - أي الكفار - في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رياسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال، أو خوف مما يحدث في المآل، فإنه في هذه الحال يكون مرتدا، ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال الله فيهم: {ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين}، فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا آثروه على الدين)[22] اهـ.

قال تعالى: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم

---

[19] تفسير القرطبي: 7/374 - 375، وراجع أحكام القرآن لابن العربي: 2/847.
[20] مجموعة التوحيد: 33.
[21] الدفاع عن أهل السنة والاتباع للشيخ حمد بن عتيق النجدي: 31 - 32.
[22] رسالة بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، من كتاب مجموعة التوحيد: 418.

حـتى يخوضـوا في حـديث غـيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا}.

قـال الطـبري رحمه اللـه: (قوله: {إنكم إذا مثلهم}، يعني إن جالسـتم من يكفر بآيـات الله ويُسـتهزأ بها وأنتم تسمعون؛ فـأنتم مثلهم، يعـني؛ فـإن لم تقومـوا عنهم في تلك الحـال مثلهم في فعلـه، لأنكم قد عصـيتم الله بجلوسـكم معهم وأنتم تسـمعون آيـات الله يكفر بها ويُستهزأ بها كما عصوه باستهزائهم بآيـات اللـه، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتـوا منهـا، فـأنتم إذا مثلهم في ركوب معصية الله وإتيانكم ما نهاكم الله عنه)[23] اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسـير هـذه الآيـة: (أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصـوله إليكم ورضـيتم بـالجلوس معهم في المكـان الـذي يُكفر فيه بآيـات الله ويُسـتهزأ بها وينتقص بها وأقررتمـوهم على ذلك؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيـه، فلهـذا قـال تعـالى: {إنكم إذا مثلهم}...)، إلى قوله رحمه اللـه: (وقوله: {إن الله جـامع المنـافقين والكـافرين في جهنم جميعا}، أي؛ كما أشركوهم في الكفر كـذلك يشـارك الله بينهم في الخلـود في نـار جهنم أبـدا ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكـال والقيـود والأغلال وشـراب الحميم والغسـلين لا الـزلال)[24] اهـ.

فإذا كـان الله جل ثنـاؤه قد حكم على من يجلس مع الكفـار وهم يكفـرون ويسـتهزءون بآيـات الله تعـالى ولم يقم عنهم؛ أنه كـافر مثلهم وحكمه حكمهم وسيحشـرون محشرا واحدا يوم القيامـة، فما حكم من يضـيف إلى ذلك التجسس لصالحهم ونقل أخبار المسـلمين إليهم وحضـهم على قتل أهل الإيمـان؟! فمما لا شك فيه أن هـؤلاء أشد كفرا ممن ذكرهم الله تعالى في الآية الكريمة.

وقال تعـالى: {يا أيها الـذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه...}، إلى قوله: {يا أيها الـذين آمنـوا لا تتخـذوا الـذين اتخـذوا دينكم هـزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتـاب من قبلكم والكفـار أوليـاء}، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أوليـاء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلـوا لله عليكم سـلطانا مبينا}.

---

[23] تفسير الطبري: 9/320 - 322.
[24] تفسير ابن كثير: 1/566 - 567، ط دار المعرفة بيروت.

وهذا نهي من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بـأخلاق المنــافقين الــذين يتخــذون الكــافرين أوليــاء من دون المؤمـنين، فيكونـوا مثلهم في ركـوب ما نهـاهم عنه من مـوالاة أعدائـه، أي لا توالـوا الكفـار فتـؤازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمـنين، فتكونـوا كمن أوجب له النـار من المنـافقين، ثم قـال جل ثنـاؤه متوعـدا من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين؛ إن هو لم يرتــدع عن موالاته وينجر عن مخالته أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبشـيرهم بأن لهم عذابا أليما.

وقال تعالى عن المنافقين: {ترى كثيرا منهم يتولــون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسـهم أن سـخط الله عليهم وفي العـذاب هم خالـدون ولو كـانوا يؤمنـون بالله والنبي وما أنزل إليهم ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسـقون}، فـذم الله تعـالى من يتـولى الكفـار من أهل الكتـاب قبلنا، وبيَّن أن ذلك ينـافي الإيمـان، وأن من فعل ذلك فهو من جملة المنــافقين المتوعــدين بــالخلود في جهنم وبئس المصير.

وقـال تعـالى: {بشر المنـافقين بـأن لهم عـذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمـنين أيبتغـون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا}.

وقــال تعــالى عن المؤمــنين المتقين: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـوم الآخر يـوادون من حـاد الله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشـيرتهم أولئك كتب في قلـوبهم الإيمـان وأيـدهم بـروح منه}، إلى قوله تعــــالى: {أولئك حـــــزب الله ألا إن حـــــزب الله هم المفلحون}، فقد بين تبارك وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يكن المـودة لأعـداء الله تعـالى من الكفـار والمشـركين، ولو كانوا أقرب قريب له، وذلك لأن مـودة الله ومحبته تنـافي مـودة عـدوه، وهما ضـدان لا يجتمعـان في قلب امـرئ مـؤمن أبـدا، وهـذا دليل واضح على وجـوب الـبراءة من الكفـار أيا كـان مـوقعهم وقـرابتهم، وأن ذلك دليل صـحة الإيمان.

ولذلك فقد ورد عن عبد الــرحمن بن حسن وعلي بن حســين وإبــراهيم بن ســيف في رســالتهم إلى بعض إخــوانهم: (إن التوحيد هو إفــراد الله تعـالى بالعبـادة ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من المشـركين باطنا وظـاهرا..)، وبعد أن ساقوا الآيـات في ذلك قـالوا: (ثم انظر كيف أكد الباري جل وعلا على رسله والمؤمـنين بـاثنتي عشـرة آية

في البراءة من المشركين ومدحهم بتلك الصفة، وهذا كله يـدل بلا ريب؛ على أن الله أوجب على المؤمـنين الـبراءة من كل مشـرك وأمر بإظهـار العـداوة والبغضـاء للكفـار عامة وللمحـاربين خاصة وحـرم على المؤمـنين مـوالاتهم والركون إليهم)[25] اهـ.

وقال تعالى: {إن الذين ارتـدوا على أدبـارهم من بعد ما تـبين لهم الهـدى الشـيطان سـول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نـزل الله سـنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسـرارهم}، فقد بيَّن تعـالى أن سـبب ردتهم عن الإسلام وخـروجهم عن الـدين؛ هو أنهم قـالوا للكفـار الكـارهين ما أنـزل الله: {سـنطيعكم في بعض الأمر}[26].

فإذا كان من قال ذلك للكفـار ولم يـوالهم في الواقع كـان مرتـدا، فكيف من والاهم ونصـرهم على المسـلمين ودخل في أحلافهم ونفذ مخططاتهم؟! فهو أولى أن يكون كافرا مرتدا مستحقا للعقوبة في الدنيا والآخرة.

وقال ابن حـزم رحمه اللـه: (وقد قـال عز وجل: {إن الـذين ارتـدوا على أدبـارهم من بعد ما تـبين لهم ا لهـدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلك بـأنهم قـالوا للـذين كرهوا ما أنـزل الله سـنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم * فكيف إذا تـوفتهم الملائكة يضـربون وجـوههم وأدبــارهم * ذلك بـأنهم اتبعـوا ما أسـخط الله وكرهـوا رضوانه فأحبط أعمالهم}، فجعلهم تعـالى مرتـدين كفـارا بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقـولهم للكفـار ما قالوا فقط، وأخبرنا تعالى أنه يعرف أسـرارهم، وأخبرنا تعـــالى أنه قد أحبط أعمـــالهم بإتبـــاعهم ما أســـخطه وكراهيتهم رضوانه)[27] اهـ.

وقـال الشـيخ سـليمان بن عبد الله آل الشـيخ رحمه الله: (فـأخبر تعـالى؛ أن سـبب ما جـرى عليهم من الـردة وتسويل الشيطان وإملائه لهم، هو قولهم للذين كرهـوا ما نزل الله: {سنطيعكم في بعض الأمر}، فإذا كان من وعد المشــركين الكـارهين لما أنــزل الله بطـاعتهم في بعض الأمر كـــافرا - وإن لم يفعل ما وعـــدهم به - فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنـزل الله من الأمر بعبادته وحـده لا شـريك له وتـرك عبـادة ما سـواه من الأنـداد والطـواغيت والأمـوات، وأظهر أنهم على هـدى، وأن أهل

[25] راجع الدرر السنية: 2/128.
[26] مجموع الفتاوى: 28/190 – 193.
[27] راجع الفصل في الملل: 3/122، راجع: تفسير الطبري: 26/58 - 60، تفسير ابن كثير: 4/181، فتح القدير للشوكاني: 5/39.

التوحيد مخطئـون في قتـالهم؟! فهـؤلاء أولى بـالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر)[28] اهـ.

وقريب من معنى الآية السـابقة قوله تعـالى: {ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخـوانهم الـذين كفـروا من أهل الكتـاب لئن أخـرجتم لنخـرجن معكم ولا نطيع فيكم أحـدا أبـدا وإن قـوتلتم لننصـرنكم والله يشـهد إنهم لكـاذبون}، ففي هذه الآية ببيـان جلي بـأن وعد المشـركين في السر بالدخول معهم في أحلافهم ونصرهم والخروج معهم نفاقا وكفـرا، وإن كـان هـذا الوعد كـذبا وتمويها لا حقيقة له، فكيف بمن وعد الكفـار بالـدخول معهم ونصـرهم صـادقا ليس بكاذب؟! فكيف بمن نصرهم فعلا وصـار من جملتهم وأعـانهم بالمـال والـرأي والعتـاد؟! أليس هـذا أشد حـالا وأسـوأ حكما ومـآلا من المنـافقين المـذكورين في الآية ممن وعدهم فقط؟!

وقال تعـالى ناصـحا عبـاده المؤمـنين: {يا أيها الـذين آمنوا لا تتخـذوا بطانة من دونكم لا يـألونكم خبـالا ودوا ما عنتم قد بـدت البغضـاء من أفـواههم وما تخفي صـدورهم أكبر}، فنهى في هـذه الآية عن مـوالاة الكفـار وإكـرامهم وأمر بإهانتهم وإذلالهم، ونهى عن الاستعانة بهم في أمـور المسلمين لما فيه من العز وعلو اليد.

وكـــــذلك كتب عمر بن الخطـــــاب إلى أبي موسى الأشـعري ينهـاه أن يسـتعين بأحد من أهل الشـرك في كتابته، وتلا قوله تعـالى: {لا تتخـذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبـالا}، وقـال: (لا تـردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله)[29] اهـ.

وقد سُـئل شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله؛ عمن يتعمد قتل المسلم بسـبب دينه؟ فأجـاب رحمه اللـه: (أما إذا قتله على دين الإسـلام مثل ما يقاتل النصـراني المسلمين على دينهم، فهذا كافر شر من الكافر المعاهد، فإن هذا كافر محارب بمنزلة الكفار الذين يقـاتلون النـبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهؤلاء مخلدون في جهنم كتخليد غـيرهم من الكفـار، وأما إذا قتله قتلا محرما، لعداوة أو مال أو خصومة ونحو ذلك؛ فهذا من الكبائر، ولا يكفر بمجـرد ذلك عند أهل السـنة والجماعـة، وإنما يُكفّر بمثل هذا الخوارج)[30] اهـ.

---

[28] الرسالة الحادية عشرة من مجموعة التوحيد: 346 - 347.
[29] راجع أحكام القرآن للجصاص: 4/293.
[30] مجموع الفتاوى: 34/136 - 137.

وقد أجمع علمـاء الإسـلام على أن من ظـاهر الكفـار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المسـاعدة؛ فهو كافر مثلهم.

من كل ما سبق؛ يتبين أن من عاون الكفار وظاهرهم على المؤمنين ونقل إليهم أسرارهم، وتسبب في ضررهم بذلك، أو قتل المجاهدين بسبب دينهم وحرض على قتلهم بسـبب جهـادهم؛ أنه كـافر مرتد، يقاتل قتـال أهل الكفر الذين والاهم و نصرهم.

والله تعالى أعلم
والحمد لله رب العالمين



كتبه الفقير إلى عفو ربه ورحمته
أبو عمرو، عبد الحكيم حسان